تفسير سورة سأل سائل

ويقال : سورة المعارج . وهي أربع وأربعون آية . وهي مكية . قال القرطبي : باتفاق [(١)] . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة سأل بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ (١٨) ﴾

قوله : **﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾** قرأ الجمهور : **﴿ سأل ﴾** بالهمزة . وقرأ نافع وابن عامر بغير همزة ، فمن همز فهو من السؤال وهي اللغة الفاشية ، وهو إما مضمن معنى الدعاء ، فلذلك عدّى بالباء ،كما تقول : دعوت لكذا ، والمعنى : دعا داع على نفسه بعذاب واقع ، ويجوز أن يكون على أصله والباء بمعنى عن ،كقوله : ﴿ فاسأل به خبيرا ﴾ [الفرقان : ٥٩] ومن لم يهمز ، فهو إما من باب التخفيف بقلب الهمزة ألفا ، فيكون معناها معنى قراءة من همز، أو يكون من السيلان ، والمعنى : سال واد في جهنم يقال له : سائل ،كما قال زيد بن ثابت ، ويؤيده قراءة ابن عباس : « سال سيل » . وقيل : إن سال بمعنى : التمس ، والمعنى : التمس ملتمس عذابا للكفار ، فتكون الباء زائدة كقوله : ﴿ تنبت بالدهن ﴾ [المؤمنون : ٢٠] والوجه الأول هو الظاهر ، وقال الأخفش : يقال : خرجنا نسأل عن فلان وبفلان . قال أبو عليّ الفارسي: وإذا كان من السؤال فأصله أن يتعدّى إلى مفعولين ، ويجوز الاقتصار على أحدهما ويتعدى إليه بحرف الجر ، وهذا السائل : هو النضر بن الحارث حين قال : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال : ٣٢] وهو ممن قتل يوم بدر صبرا . وقيل : هو أبو جهل . وقيل : هو الحارث بن النعمان الفهري ، والأوّل أولى لما سيأتي . وقرأ أبيّ وابن مسعود : « سال سال » مثل : مال مال

---

(١) القرطبي ١٠/ ٦٧٥٧ .

على أن الأصل سائل ، فحذفت العين تخفيفا ، كما قيل : شاك فى شائك السلاح . وقيل : السائل هو نوح عليه السلام ، سأل العذاب للكافرين ، وقيل : هو رسول الله ﷺ دعا بالعقاب عليهم ، وقوله : ﴿ **بعذاب واقع** ﴾ يعنى إما فى الدنيا كيوم بدر أو فى الآخرة .

وقوله : ﴿ **للكافرين** ﴾ صفة أخرى لعذاب ، أى كائن للكافرين ، أو متعلق بواقع ، واللام للعلة ، أو يسأل على تضمينه معنى دعا ، أو فى محل رفع على تقدير : هو للكافرين ، أو تكون اللام بمعنى على ، ويؤيده قراءة أبىّ : « بعذاب واقع على الكافرين » . قال الفرّاء : التقدير : بعذاب للكافرين واقع بهم ، فالواقع من نعت العذاب ، وجملة : ﴿ **ليس له دافع** ﴾ صفة أخرى لعذاب ، أو حال منه ، أو مستأنفة ، والمعنى : أنه لا يدفع ذلك العذاب الواقع به أحد ، وقوله : ﴿ **من الله** ﴾ متعلق بواقع ، أى واقع من جهته سبحانه ، أو بدافع ، أى ليس له دافع من جهته تعالى ﴿ ذى المعارج ﴾ أى ذى الدرجات التى تصعد فيها الملائكة ، وقال الكلبى: هى السموات ، وسماها معارج ؛ لأن الملائكة تعرج فيها . وقيل : المعارج : مراتب نعم الله سبحانه على الخلق . وقيل : المعارج : العظمة . وقيل : هى الغرف . وقرأ ابن مسعود : «ذى المعاريج » بزيادة الياء ، يقال : معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح .

﴿ **تعرج الملائكة والروح إليه** ﴾ أى تصعد فى تلك المعارج التى جعلها الله لهم ، وقرأ الجمهور : ﴿**تعرج**﴾ بالفوقية. وقرأ ابن مسعود وأصحابه والكسائى والسلمى بالتحتية ، والروح: جبريل ، أفرد بالذكر بعد الملائكة ؛ لشرفه ، ويؤيد هذا قوله : ﴿نزل به الروح الأمين ﴾ [الشعراء : ١٩٣] وقيل : الروح هنا : ملك آخر عظيم غير جبريل . وقال أبو صالح : إنه خلق من خلق الله سبحانه كهيئة الناس وليسوا من الناس . وقال قبيصة بن ذؤيب : إنه روح الميت حين تقبض، والأوّل أولى . ومعنى ﴿ **إليه** ﴾ : أى إلى المكان الذى ينتهون إليه . وقيل : إلى عرشه . وقيل : هو كقول إبراهيم : ﴿ إنى ذاهب إلى ربى ﴾ [الصافات : ٩٩] أى إلى حيث أمرنى ربى ﴿ **فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ قال ابن إسحاق والكلبى ووهب بن منبه : أى عرج الملائكة إلى المكان الذى هو محلها فى وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة ، وبه قال مجاهد ، وقال عكرمة : وروى عن مجاهد أن عمر الدنيا هذا المقدار لا يدرى أحدكم مضى ولا كم بقى ، ولا يعلم ذلك إلا الله ، وقال قتادة والكلبى ومحمد ابن كعب : إن المراد :يوم القيامة ، يعنى : أن مقدار الأمر فيه لو تولاه غيره سبحانه خمسون ألف سنة ، وهو سبحانه يفرغ منه فى ساعته . وقيل : إن مدّة موقف العباد للحساب هى هذا المقدار، ثم يستقر بعد ذلك أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار . وقيل : إن مقدار يوم القيامة على الكافرين خمسون ألف سنة ، وعلى المؤمنين مقدار ما بين الظهر والعصر . وقيل : ذكر هذا المقدار لمجرد التمثيل والتخييل لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها ، أو لطول يوم القيامة باعتبار ما فيه من الشدائد والمكاره كما تصف العرب أيام الشدة بالطول وأيام الفرح بالقصر، ويشبهون اليوم القصير بإبهام القطاة ، والطويل بظل الرمح ، ومنه قول الشاعر :

ويومٍ كظِلِّ الرُّمْح قَصَّر طولَه دَمُ الزِّق عنّا واصطفاف المزَاهِر(١)

وقيل : فى الكلام تقديم وتأخير ، أى ليس له دافع من الله ذى المعارج فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة تعرج الملائكة والروح إليه ، وقد قدمنا الجمع بين هذه الآية وبين قوله فى سورة السجدة : ﴿ فى يوم كان مقداره ألف سنة ﴾ [السجدة : ٥] فارجع إليه . وقد قيل فى الجمع : إن من أسفل العالم إلى العرش خمسين ألف سنة ، ومن أعلى سماء الدنيا إلى الأرض ألف سنة ؛ لأن غلظ كل سماء خمسمائة عام وما بين أسفل السماء إلى قرار الأرض خمسمائة عام ، ، فالمعنى : أن الملائكة إذا عرجت من أسفل العالم إلى العرش كان مسافة ذلك خمسين ألف سنة ، وإن عرجوا من هذه الأرض التى نحن فيها إلى باطن هذه السماء التى هى سماء الدنيا كان مسافة ذلك ألف سنة ، وسيأتى فى آخر البحث ما يؤيد هذا عن ابن عباس .

ثم أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بالصبر فقال : ﴿ **فاصبر صبرا جميلا** ﴾ أى اصبر يا محمد على تكذيبهم لك وكفرهم بما جئت به صبرًا جميلا لا جزع فيه ولا شكوى إلى غير الله، وهذا معنى الصبر الجميل . وقيل : هو أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى بأنه مصاب ، قال ابن زيد وغيره : هى منسوخة بآية السيف ﴿**إنهم يرونه بعيداً** ﴾ أى يرون العذاب الواقع بهم ، أو يرون يوم القيامة بعيدًا ، أى غير كائن ؛ لأنهم لا يؤمنون به، فمعنى ﴿**بعيدًا**﴾ : أى مستبعدا محالا ، وليس المراد : أنهم يرونه بعيدًا غير قريب . قال الأعمش : يرون البعث بعيدا ؛ لأنهم لا يؤمنون به كأنهم يستبعدونه على جهة الاستحالة ،كما تقول لمن تناظره : هذا بعيد ، أى لا يكون . ﴿**ونراه قريبا** ﴾ أى نعلمه كائنا قريبا ؛ لأن ما هو آت قريب . وقيل: المعنى : ونراه هينا فى قدرتنا غير متعسر ولا متعذر ، والجملة تعليل للأمر بالصبر .

ثم أخبر سبحانه متى يقع بهم العذاب فقال : ﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ والظرف متعلق بمضمر دلّ عليه واقع ، أو بدل من قوله : ﴿ **فى يوم** ﴾ على تقدير تعلقه بواقع ، أو متعلق بقريبا، أو مقدر بعده ، أى يوم تكون إلخ كان كيت وكيت، أو بدل من الضمير فى نراه ، والأوّل أولى . والتقدير يقع بهم العذاب ﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ والمهل : ما أذيب من النحاس والرصاص والفضة . وقال مجاهد : هو القيح من الصديد والدم . وقال عكرمة وغيره: هو دردىّ الزيت ، وقد تقدّم تفسيره فى سورة الكهف والدخان . ﴿ **وتكون الجبال كالعهن**﴾ أى كالصوف المصبوغ ، ولا يقال للصوف عهن ؛ إلا إذا كان مصبوغا . قال الحسن : تكون الجبال كالعهن ، وهو الصوف الأحمر ، وهو أضعف الصوف . وقيل : العهن : الصوف ذو الألوان ، فشبه الجبال به فى تكوّنها ألوانا ،كما فى قوله : ﴿ جدد بيض وحمر . . . وغرابيب سود ﴾ [فاطر : ٢٧] فإذا بست وطيرت فى الهواء أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح .

---

(١) الزق: وعاء من جلد، ويريد بدم الزق: الخمر، والمزاهر: العيدان، واصطفقت المزاهر: جاوب بعضها بعضا.

﴿ **ولا يسأل حميم حميما** ﴾ أى لا يسأل قريب قريبه عن شأنه فى ذلك اليوم لما نزل بهم من شدّة الأهوال التى أذهلت القريب عن قريبه ، والخليل عن خليله ، كما قال سبحانه : ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ [عبس : ٣٧] . وقيل : المعنى : لا يسأل حميم عن حميم ، فحذف الحرف ووصل الفعل . قرأ الجمهور: ﴿ **لا يسأل** ﴾ مبنيا للفاعل . قيل : والمفعول الثانى محذوف والتقدير : لا يسأله نصره ولا شفاعته . وقرأ أبوجعفر وأبو حيوة وشيبة وابن كثير فى رواية عنه على البناء للمفعول ، وروى هذه القراءة البزىّ عن عاصم ، والمعنى : لا يسأل حميم إحضار حميمه . وقيل : هذه القراءة على إسقاط حرف الجرّ ، أى لا يسأل حميم عن حميم ، بل كلّ إنسان يسأل عن نفسه وعن عمله ، وجملة : ﴿**يبصرونهم** ﴾ مستأنفة ، أو صفة لقوله : ﴿**حميما**﴾ أى يبصركلّ حميم حميمه ، لا يخفى منهم أحد عن أحد ، وليس فى القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه ، ولا يتساءلون ولا يكلم بعضهم بعضا ؛ لاشتغال كل أحد منهم بنفسه . وقال ابن زيد : يبصر الله الكفار فى النار الذين أضلوهم فى الدنيا وهم الرؤساء المتبوعون . وقيل : إن قوله : ﴿**يبصرونهم**﴾ يرجع إلى الملائكة ، أى يعرفون أحوال الناس لا يخفون عليهم ، وإنما جمع الضمير فى يبصرونهم ، وهما للحميمين حملا على معنى العموم ؛ لأنهما نكرتان فى سياق النفى . قرأ الجمهور : ﴿ **يبصرونهم** ﴾ بالتشديد ، وقرأ قتادة بالتخفيف .

ثم ابتدأ سبحانه الكلام فقال : ﴿ **يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ** ﴾ المراد بالمجرم : الكافر ، أو كل مذنب ذنبا يستحق به النار ، لو يفتدى من عذاب يوم القيامة الذى نزل به ﴿**ببنيه. وصاحبته وأخيه** ﴾ فإن هؤلاء أعزّ الناس عليه وأكرمهم لديه ، **فلو** قبل منه الفداء لفدى بهم نفسه وخلص مما نزل به من العذاب ، والجملة مستأنفة لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حدّ يودّ الافتداء من العذاب بمن ذكر . قرأ الجمهور : ﴿ **من عذاب يومئذ**﴾بإضافة عذاب إلى يومئذ . وقرأ أبوحيوة بتنوين: « عذاب » وقطع الإضافة . وقرأ الجمهور : « يومئذ» بكسر الميم . وقرأ نافع والكسائى والأعرج وأبو حيوة بفتحها ﴿ **وفصيلته التى تؤويه**﴾ أى عشيرته الأقربين الذين يضمونه فى النسب ، أو عند الشدائد ، ويأوى إليهم . قال أبو عبيد : الفصيلة : دون القبيلة . وقال ثعلب: هم آباؤهم الأدنون . قال المبرّد : الفصيلة : القطعة من أعضاء الجسد وسميت عشيرة الرجل فصيلة ؛ تشبيها لها بالبعض منه، وقال مالك : إن الفصيلة هى التى تربيه ﴿ **ومن فى الأرض جميعا** ﴾ أى ويودّ المجرم لو افتدى بمن فى الأرض جميعا من الثقلين وغيرهما من الخلائق . وقوله : ﴿ **ثم ينجيه** ﴾ معطوف على يفتدى ، أى يودّ لو يفتدى ثم ينجيه الافتداء ، وكان العطف بثم ؛ لدلالته على استبعاد النجاة . وقيل : إن يود تقتضى جوابا ،كما فى قوله : ﴿ ودّوا لو تدهن فيدهنون ﴾ [القلم : ٩] والجواب: ﴿**ثم ينجيه** ﴾ والاوّل أولى .

وقوله : ﴿ **كلا** ﴾ ردع للمجرم عن تلك الودادة ، وبيان امتناع ما ودّه من الافتداء ، و «كلا» يأتى بمعنى حقا ، وبمعنى لا مع تضمنها لمعنى الزجر والردع ، والضمير فى قوله : ﴿ **إنها**

لظى ﴾ عائد إلى النار المدلول عليها بذكر العذاب ، أوهو ضمير مبهم يفسره ما بعده ، ولظى علم لجهنم ، واشتقاقها من التلظى فى النار وهو التلهب . وقيل : أصله لظظ بمعنى دوام العذاب، فقلبت إحدى الظائين ألفا . وقيل : لظى : هى الدركة الثانية من طباق جهنم . ﴿**نزاعة للشوى** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **نزاعة** ﴾ بالرفع على أنه خبر ثان لإنّ ، أوخبر مبتدأ محذوف، أوتكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ، ونزاعة خبر إنّ ، أو على أن نزاعة صفة للظى على تقدير عدم كونها علما ، أو يكون الضمير فى إنها للقصة ، ويكون لظى مبتدأ ونزاعة خبره ، والجملة خبر إنّ ، وقرأ حفص عن عاصم وأبو عمرو فى رواية عنه وأبو حيوة والزعفرانى والترمذى وابن مقسم : « نزاعة» بالنصب على الحال . وقال أبو على الفارسى : حمله على الحال بعيد ؛ لأنه ليس فى الكلام ما يعمل فى الحال .وقيل : العامل فيها ما دلّ عليه الكلام من معنى التلظى ، أو النصب على الاختصاص ، والشوى : الأطراف ، أوجمع شواة ، وهى جلدة الرأس ، ومنه قول الأعشى :

قالت قتيلة ماله قد جُلِّلَتْ شيبا شَوَاتُه

وقال الحسن وثابت البنانى : ﴿ **نزاعة للشوى** ﴾ : أى لمكارم الوجه وحسنه ، وكذا قال أبو العالية وقتادة . وقال قتادة : تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك فيه شيئا . وقال الكسائى : هى المفاصل . وقال أبو صالح : هى أطراف اليدين والرجلين ﴿ **تدعومن أدبر** ﴾ أى تدعو لظى من أدبر عن الحقّ فى الدنيا ﴿**وتولى**﴾ أى أعرض عنه . ﴿ **وجمع فأوعى**﴾ أى جمع المال فجعله فى وعائه . قيل : إنها تقول: إلىّ يا مشرك ، إلىّ يا منافق . وقيل : معنى ﴿**تدعو**﴾ : تهلك، تقول العرب : دعاك الله ، أى أهلكك . وقيل : ليس هو الدعاء باللسان ، ولكن دعاؤها إياهم تمكنها من عذابهم . وقيل : المراد: أن خزنة جهنم تدعوا الكافرين والمنافقين فأسند الدعاء إلى النار ، من باب إسناد ما هو للحال إلى المحلّ . وقيل: هو تمثيل وتخييل ، ولا دعاء فى الحقيقة ، والمعنى : أن مصيرهم إليها ، كما قال الشاعر :

ولقد هبطنا الواد بين قوادنا ندعوا الأنيس به الغصيص الأبكم

والغصيص الأبكم : الذباب ، وهى لا تدعو ، وفى هذا ذمّ لمن جمع المال فأوعاه ، وكنزه ولم ينفقه فى سبل الخير ، أو لم يؤد زكاته .

وقد أخرج الفريابى وعبد بن حميد والنسائى وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: ﴿**سأل سائل** ﴾ قال : هو النضر بن الحارث قال : ﴿اللهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [الأنفال : ٣٢] (١) . وفى قوله: ﴿ **بعذاب واقع** ﴾ قال : كائن ﴿ **للكافرين ليس له دافع . من الله ذى المعارج**﴾

(١) النسائى فى التفسير (٦٤٠) وإسناده حسن موقوف، وصححه الحاكم ٥٠٢/٢ على شرط الشيخين ، والذهبى على شرط البخارى .

قال : ذى الدرجات . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه فى قوله : ﴿ **سأل سائل** ﴾ قال : سال : واد فى جهنم. وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **ذى المعارج** ﴾ قال : ذى العلوّ والفواضل . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ قال : منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سموات مقدار خمسين ألف سنة ، ويوم كان مقداره ألف سنة قال : يعنى بذلك : ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد . فذلك مقدار ألف سنة؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا قال: غلظ كل أرض خمسمائة عام ، وغلظ كل سماء خمسمائة عام ،وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام ، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام . فذلك أربعة عشر ألف عام . وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام ، فذلك قوله :﴿ **فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾ . وأخرج ابن جرير وابن المنذر ، والبيهقى فى البعث عنه أيضا فى قوله :﴿ فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون﴾ [السجدة : ٥] قال : هذا فى الدنيا تعرج الملائكة فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون ، وفى قوله:﴿**فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ فهذا يوم القيامة جعله الله على الكافر مقدار خمسين ألف سنة . وأخرج ابن أبى حاتم والبيهقى عنه أيضا فى قوله : ﴿ **فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ قال : لو قدّرتموه لكان خمسين ألف سنة من أيامكم . قال: يعنى : يوم القيامة. وقد قدّمنا عن ابن عباس الوقف فى الجمع بين الآيتين فى سورة السجدة .

وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى البعث عن أبى سعيد الخدرى قال : قيل : يا رسول الله ﷺ ، يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم؟ فقال : « والذى نفسى بيده إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا » (١) . وفى إسناده دراج عن أبى الهيثم ، وهما ضعيفان . وأخرج ابن أبى حاتم والحاكم ، والبيهقى فى البعث عن أبى هريرة مرفوعا قال : ما قدر طول يوم القيامة على المؤمنين إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر. وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن ابن عباس فى قوله :﴿ **فاصبر صبرا جميلا** ﴾ قال : لا تشكو إلى أحد غيرى . وأخرج أحمد وعبد ابن حميد وابن المنذر، والخطيب فى المتفق والمفترق ، والضياء فى المختارة عن ابن عباس فى قوله :﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ قال: كدردىّ الزيت . وأخرج ابن جرير عنه قال:﴿**يبصرونهم** ﴾ يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون ثم يفرّ بعضهم من بعض . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى قوله : ﴿ **نزاعة للشوى** ﴾ قال : تنزع أمّ الرأس .

﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١)**

(١) أحمد ٣/ ٧٥ وأبو يعلى (١٣٩٠) وابن جرير ٢٩/ ٤٥ ، وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٣٩ : « رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ما فيه من ضعف »

إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥) فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)

قوله : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعا** ﴾ قال فى الصحاح : الهلع فى اللغة : أشدّ الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه . يقال : هلع بالكسر فهو هلع وهلوع على التكثير ، وقال عكرمة : هو الضجور . قال الواحدى : والمفسرون يقولون : تفسير الهلع ما بعده يعنى : قوله : ﴿ **إذا مسه الشرّ جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا** ﴾ أى إذا أصابه الفقر والحاجة أو المرض أو نحو ذلك فهو جزوع ، أى كثير الجزع ، وإذا أصابه الخير من الغنى والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع والإمساك . وقال أبو عبيدة : الهلوع : هو الذى إذا مسه الخير لم يشكر ، وإذا مسه الشرّ لم يصبر . قال ثعلب : قد فسر الله الهلوع : هو الذى إذا أصابه الشرّ أظهر شدّة الجزع ، وإذا أصابه الخير بخل به ومنعه الناس ، والعرب تقول : ناقة هلوع وهلواع : إذا كانت سريعة السير خفيفته ، ومنه قول الشاعر :

شكاء ذعلبة إذا استدبرتها جرح إذا استقبلتها هلواع

والذعلبة : الناقة السريعة ، وانتصاب هلوعا وجزوعا ومنوعا على أنها أحوال مقدّرة ، أو محققة ؛ لكونها طبائع جبل الإنسان عليها ، والظرفان معمولان لجزوعا ومنوعا . ﴿ **إلا المصلين** ﴾ أى المقيمين للصلاة . وقيل : المراد بهم : أهل التوحيد، يعنى : أنهم ليسوا على تلك الصفات من الهلع ، والجزع ، والمنع ، وأنهم على صفات محمودة وخلال مرضية ؛ لأن إيمانهم وما تمسكوا به من التوحيد ودين الحق يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات ، ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير .

ثم بينهم سبحانه فقال : ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ أى لا يشغلهم عنها شاغل ، ولا يصرفهم عنها صارف ، وليس المراد بالدوام : أنهم يصلون أبدا . قال الزجاج : هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة، وقال الحسن وابن جريج : هو التطوع منها . قال النخعى : المراد بالمصلين : الذين يؤدّون الصلاة المكتوبة . وقيل : الذين يصلونها لوقتها ،

والمراد بالآية : جميع المؤمنين . وقيل : الصحابة خاصة ، ولا وجه لهذا التخصيص لاتصاف كل مؤمن بأنه من المصلين . ﴿ **والذين فى أموالهم حق معلوم** ﴾ قال قتادة ومحمد بن سيرين : المراد: الزكاة المفروضة . وقال مجاهد: سوى الزكاة . وقيل : صلة الرحم ، والظاهر أنه الزكاة لوصفه بكونه معلوما ولجعله قرينا للصلاة ، وقد تقدّم تفسير السائل والمحروم فى سورة الذاريات مستوفى . ﴿ **والذين يصدقون بيوم الدين** ﴾ أى بيوم الجزاء ، وهو يوم القيامة لا يشكون فيه ولا يجحدونه . وقيل : يصدقونه بأعمالهم فيتعبون أنفسهم فى الطاعات . ﴿ **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون** ﴾ أى خائفون وجلون مع ما لهم من أعمال الطاعة استحقارًا لأعمالهم ، واعترافا بما يجب لله سبحانه عليهم . وجملة : ﴿ **إن عذاب ربهم غير مأمون** ﴾ مقرّرة لمضمون ما قبلها مبينة أن ذلك مما لا ينبغى أن يأمنه أحد ، وأن حقّ كل أحد أن يخافه . ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فأولئك هم العادون** ﴾ قد تقدّم تفسيره فى سورة المؤمنين مستوفى .

﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ أى لا يخلون بشىء من الأمانات التى يؤتمنون عليها ولا ينقضون شيئا من العهود التى يعقدونها على أنفسهم . قرأ الجمهور : ﴿ **لأماناتهم** ﴾ بالجمع . وقرأ ابن كثير وابن محيصن : « لأمانتهم » بالإفراد ، والمراد : الجنس . ﴿ **والذين هم بشهاداتهم قائمون** ﴾ أى يقيمونها على من كانت عليه من قريب أو بعيد أو رفيع أو وضيع ، ولا يكتمونها ولا يغيرونها ، وقد تقدّم القول فى الشهادة فى سورة البقرة . قرأ الجمهور : «بشهادتهم» بالإفراد . وقرأ حفص ويعقوب وهى رواية عن ابن كثير بالجمع . قال الواحدى : والإفراد أولى ؛ لأنه مصدر ، ومن جمع ذهب إلى اختلاف الشهادات . قال الفرّاء : ويدل على قراءة التوحيد قوله تعالى : ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ [الطلاق : ٢] . ﴿ **والذين هم على صلاتهم يحافظون** ﴾ أى على أذكارها وأركانها وشرائطها لا يخلون بشىء من ذلك . قال قتادة: على وضوئها وركوعها وسجودها ، وقال ابن جريج : المراد : التطوع ، وكرر ذكر الصلاة ؛ لاختلاف ما وصفهم به أوّلا ، وما وصفهم به ثانيا ، فإن معنى الدوام : هو أن لا يشتغل عنها بشىء من الشواغل كما سلف ، ومعنى المحافظة : أن يراعى الأمور التى لا تكون صلاة بدونها. وقيل : المراد :يحافظون عليها بعد فعلها من أن يفعلوا ما يحبطها ويبطل ثوابها، وكرر الموصولات ؛ للدلالة على أن كل وصف من تلك الأوصاف لجلالته يستحقّ أن يستقلّ بموصوف منفرد ، والإشارة بقوله : ﴿ **أولئك** ﴾ إلى الموصوفين بتلك الصفات ﴿ **فى جنات مكرمون** ﴾ أى مستقرّون فيها مكرمون بأنواع الكرامات ، وخبر المبتدأ قوله: ﴿ **فى جنات** ﴾ وقوله : ﴿ **مكرمون**﴾ خبر آخر ، ويجوز أن يكون الخبر مكرمون وفى جنات متعلق به. ﴿ **فمال الذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ أى أىّ شىء لهم حواليك مسرعين ، قال الأخفش : مهطعين : مسرعين ، ومنه قول الشاعر :

بمكة أهلها ولقد أراهم إليهم مهطعين إلى السماع .

وقيل: المعنى : ما بالهم يسرعون إليك يجلسون حواليك ولايعملون بما تأمرهم؟ وقيل : ما بالهم مسرعين إلى التكذيب؟ وقيل : ما بال الذين كفروا يسرعون إلى السماع إليك فيكذبونك ويستهزئون بك ؟وقال الكلبي: إن معنى ﴿**مهطعين**﴾ : ناظرين إليك. وقال قتادة : عامدين. وقيل: مسرعين إليك مادّى أعناقهم مديمى النظر إليك . ﴿**عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾ أى عن يمين النبىّ ﷺ وعن شماله جماعات متفرقة ، وعزين جمع عزة ، وهى العصبّة من الناس ، ومنه قول الشاعر :

ترانا عنده والليل داج على أبوابه حلقا عزينا

وقال الراعى :

أخليفةَ الرحمنِ إن عشيرتى أمسى سَرَاتُهُم إليك عزينا

وقال عنترة :

وقرن قد تركت لدى ولى عليه الطير كالعصب العزينا

وقيل : أصلها عزوة من العزو ، كأن كل فرقة تعتزى إلى غير من تعتزى إليه الأخرى . قال فى الصحاح :والعزة : الفرقة من الناس ، والهاء عوض عن التاء ، والجمع عزى وعزون . وقوله: ﴿ **عن اليمين وعن الشمال** ﴾ متعلق بعزين ، أو بمهطعين . ﴿**أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة النعيم** ﴾ قال المفسرون : كان المشركون يقولون : لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنّ قبلهم، فنزلت الآية .قرأ الجمهور :﴿ **أن يدخل** ﴾ مبنيا للمفعول ، وقرأ الحسن وزيد بن على وطلحة بن مصرف والأعرج ويحيى بن يعمر وأبو رجاء وعاصم فى رواية عنه على البناء للفاعل، ثم ردّ الله سبحانه عليهم فقال : ﴿ **كلا إنا خلقناهم مما يعلمون** ﴾ أى من القذر الذين يعلمون به فلا ينبغى لهم هذا التكبر . وقيل : المعنى : إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون ، وهو امتثال الأمر والنهى وتعريضهم للثواب والعقاب ، كما فى قوله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٩] ، ومنه قول الأعشى :

وأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذى هوى أن يزارا

وقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن الهلوع فقال :هو كما قال الله : ﴿ **إذا مسّه الشرّ جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا**﴾. وأخرج ابن المنذر عنه : ﴿ **هلوعا** ﴾ قال : الشره . وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن ابن مسعود : ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ قال : على مواقيتها . وأخرج ابن أبى شيبة وابن المنذر عن عمران بن حصين : ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ قال : الذى لا يلتفت فى صلاته . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن عقبة ابن عامر : ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ قال : هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا .

وأخرج ابن المنذر من طريق أخرى عنه نحوه .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **فمال الذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ قال : ينظرون ﴿**عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾ قال : العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به . وأخرج مسلم وغيره عن جابر قال : دخل علينا رسول الله ﷺ المسجد ونحن حلق متفرقون فقال ﷺ :« مالى أراكم عزين » (١) . وأخرج أحمد وابن ماجة وابن سعد وابن أبى عاصم والبارودى وابن قانع والحاكم والبيهقى فى الشعب ، والضياء عن بشر بن جحاش قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ **فمال الذين كفروا قبلك مهطعين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **كلا إنا خلقناهم مما يعلمون** ﴾ ثم بزق رسول الله ﷺ على كفه ووضع عليها أصبعه وقال : « يقول الله : ابن آدم، أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سوّيتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت : أو أنى أوان الصدقة » (٢) .

﴿ **فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)** ﴾

قوله : ﴿ **فلا أقسم** ﴾ « لا » زائدة كما تقدّم قريبا ، والمعنى : فأقسم ﴿ **برب المشارق والمغارب** ﴾ يعنى: مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه. قرأ الجمهور: ﴿ **المشارق والمغارب** ﴾ بالجمع . وقرأ أبو حيوة وابن محيصن وحميد بالإفراد. ﴿ **إنا لقادرون . على أن نبدّل خيرا منهم**﴾ أى على أن نخلق أمثل منهم ، وأطوع لله حين عصوه ونهلك هؤلاء . ﴿ **وما نحن بمسبوقين** ﴾ أى بمغلوبين إن أردنا ذلك بل نفعل ما أردنا لا يفوتنا شىء ولا يعجزنا أمر ، ولكن مشيئتنا وسابق علمنا اقتضيا تأخير عقوبة هؤلاء وعدم تبديلهم بخلق آخر . ﴿ **فذرهم يخوضوا ويلعبوا** ﴾ أى اتركهم يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم ، واشتغل بما أمرت به ولا يعظّمن عليك ما هم فيه ، فليس عليك إلا البلاغ﴿**حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون** ﴾ وهو يوم القيامة ، وهذه الآية منسوخة بآية السيف . قرأ الجمهور : ﴿ **يلاقوا** ﴾ . وقرأ أبو جعفر وابن محيصن وحميد ومجاهد : « حتى يلقوا ». ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعا** ﴾ يوم بدل من يومهم ، وسراعا منتصب على الحال من ضمير يخرجون . قرأ الجمهور: ﴿**يخرجون** ﴾ على البناء للفاعل ، وقرأ السلمى والأعمش والمغيرة وعاصم فى رواية على البناء للمفعول ، والأجداث جمع جدث، وهو القبر ﴿ **كأنهم إلى نصب يوفضون** ﴾ قرأ الجمهور:« نصب » بفتح النون وسكون الصاد. وقرأ

(١) مسلم فى الصلاة (٤٣٠/١١٩) وأبو داود فى الأدب (٤٨٢٣) والنسائى فى التفسير (٦٤٢) .
(٢) أحمد ٤/ ٢١٠ وابن ماجة فى الوصايا (٢٧٠٧) وصححه الحاكم ٢/ ٥٠٢ وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » والبيهقى فى الشعب (٣١٩٨) وإسناده حسن .

ابن عامر وحفص بضم النون والصاد. وقرأ عمرو بن ميمون وأبو رجاء بضم النون وإسكان الصاد. قال فى الصحاح : والنصب ما نصب فعبد من دون الله ، وكذا النصب :بالضم ، وقد يحرك . قال الأعشى :

وذا النصب المنصوب لا تعبدنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

والجمع الأنصاب . وقال الأخفش والفراء : النصب جمع النصب ، مثل رهن ورهن ، والأنصاب جمع النصب فهو جمع الجمع . وقيل :النصب جمع نصاب ، وهوحجر أوصنم يذبح عليه ، ومنه قوله :﴿ وما ذبح على النصب ﴾ [المائدة : ٣] .وقال النحاس : نصب ونصب بمعنى واحد . وقيل : معنى ﴿**إلى نصب**﴾: إلى غاية ، وهى التى تنصب إليها بصرك. وقال الكلبى : إلى شىء منصوب علم أو راية ، أى كأنهم إلى علم يدعون إليه ، أو راية تنصب لهم يوفضون . قال الحسن : كانوا يبتدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم التى كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوى أولّهم على آخرهم . وقال أبو عمرو : النصب : شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته ، ومعنى ﴿ **يوفضون** ﴾ : يسرعون ، والإيفاض : الإسراع، يقال: أوفض إيفاضا ، أى أسرع إسراعا ، ومنه قول الشاعر :

فوارس ذبيان تحت الحديد كالجنّ يوفض من عبقر

وعبقر : قرية من قرى الجن كما تزعم العرب ، ومنه قول لبيد :

كهول وشبان كجنة عبقر

وانتصاب ﴿ **خاشعة أبصارهم** ﴾ على الحال من ضمير يوفضون ،وأبصارهم مرتفعة به ، والخشوع :الذلة والخضوع ، أى لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب ﴿ **ترهقهم ذلة** ﴾ أى تغشاهم ذلة شديدة . قال قتادة : هى سواد الوجوه ، ومنه غلام مراهق : إذا غشيه الاحتلام ، يقال : رهقه بالكسر يرهقه رهقا ، أى غشيه ، ومثل هذا قوله : ﴿ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ﴾ [يونس: ٢٦] والإشارة بقوله :﴿ **ذلك** ﴾ إلى ما تقدّم ذكره . وهو مبتدأ وخبره : ﴿ **اليوم الذى كانوا يوعدون**﴾ أى الذى كانوا يوعدونه فى الدنيا على ألسنة الرسل قد حاق بهم وحضر ووقع بهم من عذابه ما وعدهم الله به، وإن كان مستقبلا، فهو فى حكم الذى قد وقع لتحقق وقوعه.

وقد أخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **فلا أقسم برب المشارق والمغارب** ﴾ قال : للشمس كل يوم مطلع تطلع فيه، ومغرب تغرب فيه غير مطلعها بالأمس وغير مغربها بالأمس . وأخرج ابن جرير عنه : ﴿ إلى نصب يوفضون ﴾ قال : إلى علم يستبقون .